مكتبة الطفل العربي

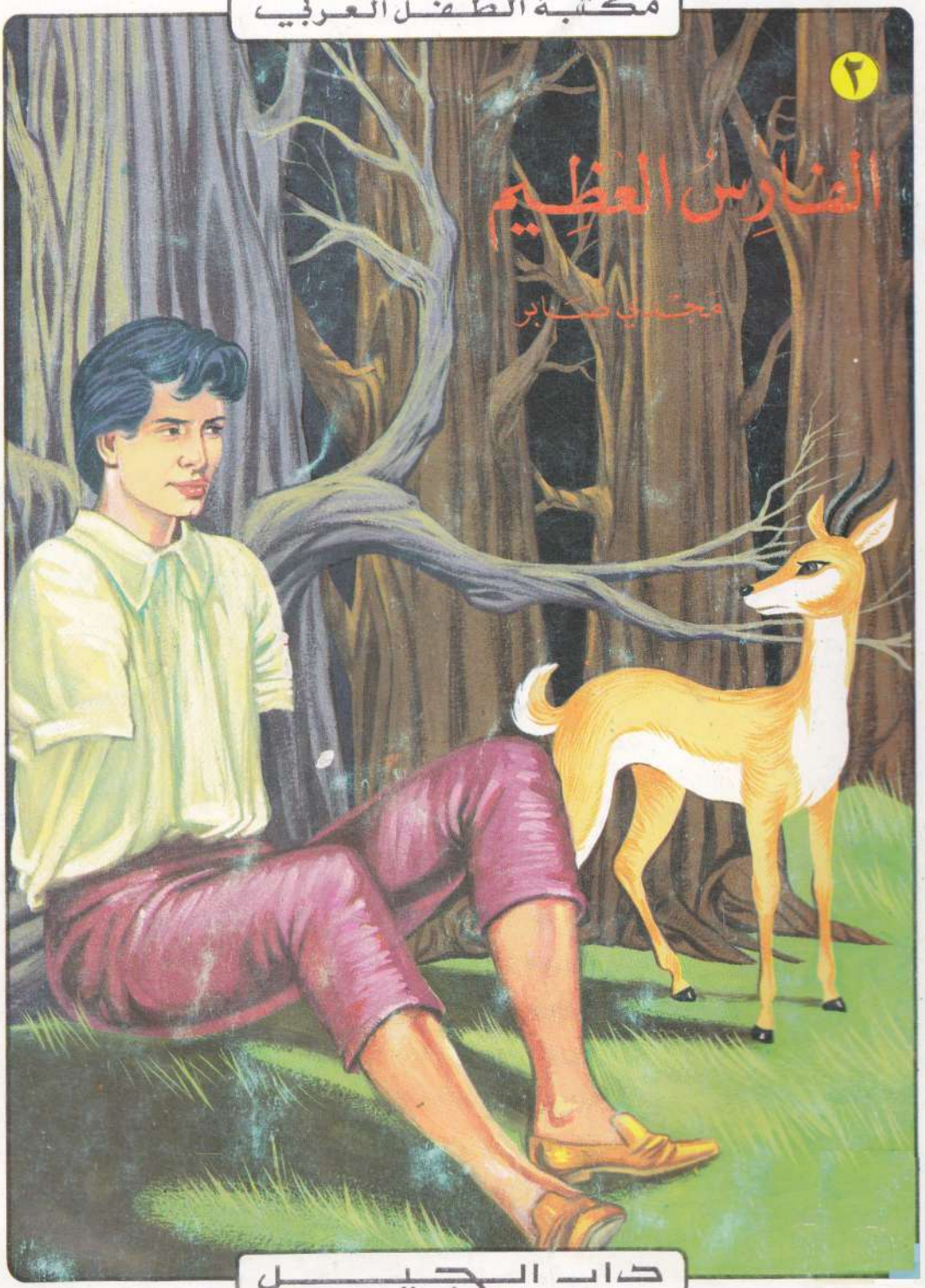

٢

الفارس العظيم

مجدي صابر

دار الجيل

قصة
ط ب

1267 45841
9493
1411

٢

الفارِسُ العَظِيم

تأليف

مَجدي صابر

دار الجيل

بيروت - القاهرة - تونس

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

مَكتَبة الطفل العربي

تأليف : مَجدي صابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصصِ الأطفالِ، كُتبتْ بأسلوبٍ أدبيٍّ ممتاز، يمتزجُ فيها الخيالُ مع الواقع.. والحلمُ مع الحقيقة، لتصنَعَ عالماً أخاذاً مُبهراً، يناسبُ عقلَ وسِنَّ قارئها الصغيرِ، ويَفتح أمامَ عينيه أبواباً لا حصرَ لها من المعرفةِ والقِيَمِ التربويةِ والأخلاقِ النبيلةِ.

ونحن نفخرُ بأن تؤدي هذه المجْموعةُ القَصَصِيّةُ المَكْتوبةُ والمُخْتارةُ بِعنايَةٍ بالِغةٍ، الغَرضَ منها تماماً، وتُحاوِل أن تَسدَ بعض النّقصِ في مكتبةِ الطّفلِ العربيّ، دونَ أن تَسْتهينَ بِعقلهِ، أو تَتَخطى قِيَمه وعاداته.

ونَأملُ أن نَكونَ قد حَقَّقْنا الهَدَفَ الّذِي نَرْجُوه من إصْدارِنا لهذه المَكتبةِ، وأن تَحْتلَ قِصَصُها مكانها اللائق في مكتبةِ كلّ طفلٍ عربيّ.

الفارِسُ العَظِيم

عَاشَ خَيَّاطٌ فِي إِحْدَى المَمالِكِ القَدِيمةِ، وَكَانَ رَجُلاً فَقِيراً لا يَمْلِكُ غَيْرَ حَانُوتٍ صَغِيرٍ، يَعْمَلُ فِيه بِلا مُعاونِينَ أوْ مُساعِدينَ، بِسَبَبِ فَقْرِهِ، وقِلَّة عَمَلِه.

وَكَانَ لِلْخَيَّاطِ زَوْجَةٌ طَيِّبَةٌ، تُساعِدُهُ فِي عَمَلِهِ، فَتَقُصُّ لَهُ القِماشَ، أو تُحِيكهُ. وكَانَ الاثْنانِ، الخيَّاطُ وَزَوْجَتُهُ يَعيشانِ عَلَى ما يَكْسِبانِهُ مِنَ الخِياطَةِ، وكَانَ رُغْمَ قِلَّتِهِ يَكْفيهِما، فَقَدْ كانَا قانِعَيْنِ راضِيَيْن.

وذَاتَ يَوْمٍ أَحَسَّتْ زَوجَةُ الخَيَّاطِ بِبَوادِرِ حَمْلٍ، فأَسْرَعَتْ إِلَى زَوْجِها مُبْتَهِجةً، وأخْبَرَتْهُ بِالنَّبإِ مَسْرُورةً، فَتهلَّلَ وَجْهُ الخيَّاطِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ بِالدُّعاءِ والشُّكْرِ إِلَى اللهِ قائِلاً: «شُكْراً لَكَ يا إِلهِي، فَسَوْفَ يَكُون لنا طِفْلٌ يُعينُنا عِنْدَما تَشْتَدُّ الأَيّامُ بِنا،

وتَقْسُو عَلَيْنا، فَلا نَقْدِرُ عَلَى العَمَلِ عِنْدَما تَكْبرُ سِنُّنا، فَيَكُونُ فِي آبْنِنا الخَيْرُ والبَرَكَةُ، فَيَقُومَ بِعَمَلِنا، ويَرعَى أمْرَنَا».

ومَرَّتِ الأَيَّامُ. وعِنْدَما حَانَ وَقْتُ الوِلادةِ، ابْتَهَلَ الخَيَّاطُ إِلَى اللهِ، أنْ تَتِمَّ فِي سُهُولَةٍ ويُسْرٍ. وبَعْدَ قَلِيلٍ خَرَجَتِ القَابِلَةُ مِن حُجْرَةِ زَوْجَتِهِ، وكَانَ الحُزْنُ يَكْسُو وَجْهَها، فَارْتَعَبَ الخَيَّاطُ وخَافَ، أنْ يَكُونَ قَدْ حَلَّ بِزَوْجَتِهِ أَوْ طِفْلِهِ سُوءٌ، وسَأَلَها مُرْتَعِشاً: «ماذَا حَدَثَ، هَلْ أُصِيبَتْ زَوْجَتي بِسُوءٍ؟».

أَجابَتْهُ القَابِلَةُ: «لا.. إِنَّ زَوْجَتَكَ بِخَيرٍ، وكَذَلِكَ مَوْلُودَها، فَقَدْ أَنْجَبَتْ ذَكَراً جَمِيلاً، ولَكِنَّهُ لَيْسَ كَكُلِّ الأَطْفالِ، فَقَدْ وُلِدَ بِلا ذِراعَيْن».

ذُهِلَ الخَيَّاطُ ولَمْ يُصدِّقْ ما سَمِعَهُ، وآنْدَفَعَ إِلَى حُجْرةِ زَوْجتِهِ، فَوَجَدها راقِدَةً فِي فِراشِها، تَحْتَضِنُ طِفْلَها، وهِي تَجْهَشُ بِالبُكاءِ الشَّدِيد.

نَظَرَ الخَيَّاطُ إِلَى ابْنِهِ، وسَقَطَتِ الدُّمُوعُ مِن عَيْنَيْهِ، فَقَدْ كَانَ الطِّفْلُ كمَا ذَكَرَتِ القابِلَةُ، بِلا ذِراعَيْنِ.

رفع الخيَّاطُ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ وقالَ: «حِكْمتُكَ يا رَبُّ، إنَّ هَذَا الطِّفْلَ هِبَتُكَ، ونَحْنُ بِهِ راضِيانِ، مَهْمَا كَانَتْ عاهَتُهُ، أو نَقْصُهُ».

ووَاسَى الخيَّاطُ زَوْجَتَهُ حَتَّى كَفَّتْ عَنِ البُكاءِ، فَاحْتَضَنَتْ طِفْلَها وسَأَلَتْ زَوْجَها: «بِمَ نُسَمِّي طِفْلَنا؟».

فَكَّرَ الخيَّاطُ وقَالَ: «سَنُسَمِّيهِ «علاء»، فَهُوَ وإِنْ كَانَ قَد وُلِدَ بِلا ذِراعَيْنِ، فَاللَّهُ قادِرٌ عَلَى مَنْحِهِ مِنَ الصِّفاتِ والذَّكاءِ ما يُعلِي شَأْنَهُ، ويُعَوِّضُهُ عَنْ فَقْدِ ذِراعَيْه».

قَالَتِ الزَّوْجةُ حَزِينةً: «كُنَّا نَنْتَظِرُ طِفْلاً يُساعِدُنا فِي شَيْخُوخَتِنا، فَرَزَقَنا اللَّهُ بِطِفْلٍ سَيَظلُّ يَعْتَمِدُ عَلَيْنا إِلَى أنْ يَمُوت».

ومَرَّتِ الأَيّامُ وَكَبُرَ علاء، وصَارَ غُلاماً يافِعاً، وكَانَ شُجاعاً قَوِيًّا، تَظْهَرُ عَلَيْهِ مَعَالِمُ الذَّكاءِ، ويَشِعُّ مِن عَيْنَيْهِ بَرِيقٌ عَجِيبٌ. وعِنْدَما كَانَ علاء يَسِيرُ فِي الطُّرُقاتِ، كَانَ النَّاسُ يُشِيرُونَ نَحْوَهُ ويَقُولُونَ مُشْفِقِينَ: «أُنظُرُوا إِلَى ٱبنِ الخيَّاطِ، ما أَجْمَلَهُ وأَشَدَّهُ، ولَكِنَّهُ بِلا ذِرَاعَيْن».

فَكَانَ عَلاء يَحْزَنُ لِذَلِكَ، وتَسْقُطُ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وعِنْدَما يُشاهِدُ بَعْضَ الأَطْفالِ يَلْعَبُونَ، كَانَ يَقْتَرِبُ مِنْهُمْ، ويُحاوِلُ الانْضِمامَ إِلَيْهِمْ، فَكانُوا يَدْفَعُونَهُ زَاجِرِينَ، ويُعَيِّرُونَهُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ تُشارِكُنا لَعِبَنا وأَنْتَ مَقْطُوعُ الذِّراعَيْنِ.. هيَّا آذْهَبْ بَعِيداً عنَّا، أوِ آكْتَفِ بِالمُشاهَدة».

فَكَانَ عَلاء يَحْزَنُ أكْثَرَ.. ويَزْدادُ حُزْنُهُ عِنْدما يُشاهِدُ أَقْرانَهُ، ذاهِبِينَ إِلَى مَدارِسِهِمْ، حَامِلِينَ أَقْلامَهُمْ وأَوْراقَهُمْ، فَتَسْقُطُ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ، لأَنَّهُ بِلاَ ذِراعَيْنِ، وَلاَ يُمْكِنُهُ تَعَلُّمَ القِراءَةِ والكِتَابَة.

ولِذَلِكَ كَانَ عَلاء يُمْضِي أَغْلَبَ وَقْتِهِ جالِساً وَحِيداً فِي الخَلاءِ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَرْضَى بِصُحْبَتِهِ، أَوْ يُوافِقُ عَلَى رِفْقَتِهِ. وكَانَتْ هُنَاكَ غَزالَةٌ وَحِيدَةٌ، إِعْتادَ أَنْ يَراها فِي جَلْسَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ، وهِيَ تَرْعَى الكَلأَ، حَتَّى قامَتْ بَيْنَهُما صَداقَة. فَقَدْ أَنِسَتِ الغزالَةُ لَهُ، وعَوَّضَ علاءٌ بِها وِحْدَتَهُ، فَصارَتْ رَفِيقَةَ لَعِبِهِ، وأَنِيسَةَ لَهْوِهِ، فَكَانا يمرحانِ ويَتسابَقانِ كأَنَّهُما الرِّيح. وكَانَ علاء سَرِيعاً فِي العَدْوِ، خَفِيفاً كَأَنَّهُ الرِّيحُ، مُنْطَلِقاً كَأَنَّهُ السَّهْمُ فِي

آنْـدِفاعِـهِ، فَكَانَ كَثِيـراً ما يَسْبِقُ الغـزالَةَ الَّتِي تَفْشَـلُ فِي اللَّحـاقِ بِهِ..

وذَاتَ يَوْمٍ أَصَرَّ علاء عَلَى تَعَلُّمِ الخِيَاطةِ، عِنْدَمـا شَاهَـدَ والِـدَهُ مُتْعَباً مِنْ كَثْـرَةِ العَمَل. وأسـرَّ إِلَى والِدِهِ بِـرَغْبتِـهِ، فَقَـالَ الخيَّاطُ مُنْدَهِشـاً لابْنِهِ: «وَكَيْفَ تَتعَلَّمُ الخِيـاطَةَ يـا وَلَدِي، وأَنْتَ بِلا ذِراعَيْن؟».

قَالَ عَلاء: «إن لَمْ يَكُنْ لِي ذِراعَـانِ، فَإِنَّني أَمْلِكُ سـاقَيْنِ وقَدَمَيْنِ، وَسَوْفَ أَسْتَعْمِلُ أصابِـعَ قَدَميَّ بَـدَلاً مِن أَصابِـع يَدَيَّ، فِي أَعْمالِ الخِياطَة».

وخَلَعَ عَـلاء حِذاءَهُ، وجَـاهَدَ حَتَّى أَمْسَـكَ الإِبْرةَ الـطَّوِيلَةَ بِأَصابِعِ قَدَمِهِ اليُمْنَى، وبِأَصـابِعِ قَـدَمِهِ اليُسْـرَى أَمْسَكَ الخَيْطَ. وعِنْـدَما حَـاوَلَ إِدْخالَ الخَيْطِ فِي فَتْحَـةِ الإِبْرةِ، أَصـابَتْهُ سنُّهـا، وشَكَّتْهُ فِي إِصْبـعِ قَدَمِهِ، فَتَأَلَّمَ بِشِدَّةٍ، وَسَـالَتْ مِنْ إِصْبَعِهِ قَـطْرةُ دَمٍ، وَلكِنَّ عَـلاء تَحَمَّلَ الأَلَمَ، وَواصَـلَ المُحاوَلَـة. وبَعْدَ وَقْتٍ تَمَكَّنَ مِنْ إِدْخَـالِ الخَيْطِ فِي فَتْحـةِ الإِبْـرَةِ، فَسَعِـدَ بِـذَلِـكَ، واحْتَضَنَهُ والِدُهُ مِنْ شِـدَّةِ فَرْحَتِـهِ، وبَدأَ يُعَلِّمُـهُ أُصُولَ الخِيَـاطة.

وتَمَكَّنَ عَلاء بَعْدَ وَقْتٍ قَلِيلٍ، مِنْ إِجادَةِ الخِياطةِ بِأَصابِعِ قَدَمَيْهِ. فَكَانَ يُمْسِكُ الإِبْرَةَ بَيْنَ أصابعِ قَدَمِهِ اليُمْنَى، والقِماشَ بَيْنَ أصابعِ قَدَمِهِ اليُسْرَى، ويَقُومُ بِالخِياطَةِ بِمَهارَةٍ. فَكانَ النَّاسُ يَرَونَ ذَلِكَ ويَتَعَجَّبُونَ. ثُمَّ تَعَلَّمَ عَلاء القِراءَةَ والكِتابَةَ بِقَدَمَيْهِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ أكْثَر.

أمّا عَلاء فَأَخَذَ يَسْتَعْمِلُ أَصابعَ قَدَمَيْهِ، مَكانَ يَدَيْهِ فِي كُلِّ الأَعْمالِ، الَّتِي يَقُومُ بِهَا الإِنْسانُ السَّلِيمُ، فَسَعِدَ وَالِدُهُ بِذَلِكَ، وحَمَدَ اللَّه وشَكَرَهُ. وعِنْدَما تَقَدَّمَتْ بِهِما السِّنُّ، طَلَبَ عَلاء مِنْهُما، أنْ يَرْكُنا إِلَى الرَّاحَةِ، وقَامَ هُوَ بِكُلِّ ما تَتَطَلَّبُهُ الخِياطَةُ مِنْ أَعْمالٍ، بِلاَ مَشَقَّةٍ أوْ عَناءٍ.

وبَلَغَ عَلاء سِنَّ الرِّجالِ، وصَارَ لَهُ مِنَ العُمْرِ عُشْرُونَ عَاماً، وهُوَ بِلاَ أَصْدِقاءَ أوْ رِفاقٍ، غَيْرَ صَدِيقَتِهِ الغَزالَةِ الَّتِي هَرِمَتْ. وكانَتْ مُتْعَةُ علاء الوَحِيدةُ أنْ يُسابِقَ ظِباءَها، فَيَتَغَلَّبَ عَلَيْهِم جَمِيعاً بِسَبَبِ سُرْعَتِهِ، وتَسْقُطَ الغِزْلانُ الصَّغِيرةُ مُنْهكَةً مِن شِدَّةِ الجَرْيِ، بِدُون أن يُصِيبَ عَلاء تَعَبٌ أوْ كَلَلٌ، فَيَضْحَكُ مَسْرُوراً، ويَرْبُتُ عَلَى الغِزْلانِ الصَّغِيرةِ مُشْفِقاً.

وَعِنْدَما أَرادَتْ والِدَتُهُ تَـزْوِيجَهُ، اخْتَـارَتْ لَهُ فَتـاةً جَمِيلَةً، ولَكِنَّ الفَتاةَ قَالَتْ لِـلأُمِّ مُسْتنكِرةً: «كَيْفَ تُـرِيدينَ أن أتَـزَوَّجَ مِنْ شَابٍّ بِلا ذِراعَيْن؟».

* * *

وذَاتَ يَـوْمٍ كَانَ عَـلاء فِي دُكَّانِـهِ، يُمارِسُ عَمَلَهُ، عِنْـدَما سَمِعَ طُبُولَ الحَرْبِ تَدُقُّ فِي القَلْعَةِ القَدِيمَـةِ، الَّتِي يَسْكُنُها قـائِدُ الفُرْسانِ. وسَمِعَ عَلاءُ المُنادِينَ، يَجُوبُـونَ الأَسْوَاقَ والـطُّرُقاتِ، وهُمْ يُنادُونَ: «أيُّها النَّاسُ، لَقَدْ أُعْلِنَتِ الحَرْبُ، فالأَعْـداءُ عَلَى الأَبْـوابِ، وقِوامهُمْ أَلْفُ أَلفِ مُقـاتِلٍ، وعَشْـرةُ آلافِ فـارِسٍ، وسِلاحٌ وعتادٌ لا حَصْـرَ لَهُ ولا عَـدَّ، وقَدْ أقـامُوا الحِصـارَ، حَوْلَ مَدِينةِ الأَسْرارِ، ويَنْوُونَ قَتْلَ سُكَّانِها وتَخْرِيبَها، ثُمَّ يَنْدَفِعُـونَ إِلَى بَقِيَّةِ مُدُنِنـا، فَيَقْتَلِعُونَ زَرْعنـا، ويَقْتلُونَ أَهْلَنا، ويَنْهَبُـونَ دِيارَنَـا. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ قادِراً عَلَى حَمْلِ السِّلاحِ، والدِّفاعِ عَنِ البِلادِ، فَلْيَتقـدَّمْ إِلَى قائِـدِ الفُرْسـانِ، فِي القَلْعَـةِ القَـدِيمَـةِ، لِيَنْضَمَّ إِلَى الجَيْشِ ويُلاقِيَ الأَعْداءَ، فَيَكُونُ النَّصْرُ حَليفَنا بإِذْنِ اللهِ».

فَلَمَّا سَمِعَ عَلاء هَذَا النِّداءَ، تَرَكَ مـا فِي يَدَيْـهِ فِي الحَالِ وأَغْلَقَ الدُّكَّانَ، وأَسْرَعَ إِلَى بَيْتِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُ والِدُهُ قَلِقـاً وَقَالَ لَـهُ:

«هَلْ سَمِعتَ يا ولَدِي ذَلِكَ النِّداءَ، لَقَدْ قامَتِ الحَرْبُ، والقائِدُ يَطْلُبُ الشُّبانَ الشُّجْعانَ لِمُقاتَلَةِ الأَعْداءِ. . لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ شَيْخاً عَجُوزاً، لما تَوانَيْتُ عَنِ الانْضِمامِ إِلَى الجَيْشِ والدِّفاعِ عَنِ البِلاد».

قَالَ عَلاء: «لَقَدْ سَمِعْتُ طُبُولَ الحَرْبِ والنِّداءَ يا وَالِدِي، ولِهَذَا أَتَيْتُ لأَحْصُلَ عَلَى إِذْنِكَ، قَبْلَ أَنْ أُلَبِّيَ نِداءَ الوَطَنِ، وأَنْضمَّ إِلَى جَيْشِنا الَّذِي سَيَخْرُجُ لِمُقاتَلَةِ أَعْدائِنا، وفَكِّ الحِصارِ عَن مَدِينةِ الأَسْرار».

قَالَ الخيَّاطُ مَذْهُولاً: «وَكَيْفَ يُمْكِنُكَ الانْضِمامُ إِلَى الجَيْشِ يا وَلَدِي، كَيْفَ سَتَحْمِلُ سَيْفاً أو حَرْبَةً وتُقاتِلُ الأَعْداء؟».

وَقَالَتْ زَوْجةُ الخيَّاطِ نادِبةً: «هَلْ تُرِيدُ أَنْ تُلْقِيَ بِنَفْسِكَ إِلَى التَّهْلُكةِ يا وَلَدِي، دَعِ القِتالَ لِمَنْ كَانَ أَهلاً لَهُ، وعَلَى ٱسْتِعدادٍ لِمُلاقَاته».

وَلَكِنَّ علاء أصرَّ عَلَى مَوْقِفِهِ وقَالَ: «يا والِدَيَّ العَزِيزَيْن، لَقَدْ رَبَّيْتُماني مُنْذُ طُفُولَتي، وعَلَّمْتُماني أَنْ لَا فَرْقَ بَيْنِي وبَيْنَ

الشُّبـانِ الأَصِحّـاء. وإنْ كُنْتُ لا أَسْتَـطيـعُ الإسْهـامَ فِي قِتـالِ الأَعْـداءِ بِآلسَّيْفِ أو الحَـرْبةِ، فَـلا بُدَّ أنّ هُنـاكَ أعْمالاً أُخْـرَى، أَسْتطيعُ القِيامَ بِها لِلْمُساهَمَةِ فِي الـدِّفاعِ عَنْ بِـلادِنا ومَمْلَكَتِنـا، مِنْ هُجُومِ الأَعْداءِ.. فَهَـذا هُوَ واجِبِي نَحْـوَ وَطَنِي، وَيَجِبُ أنْ أُلَبِّيـهِ دُونَ تَرَدُّدٍ فِي الحَـالِ.. أمّا إذَا مَنَعْتُمـاني، يَا أَبِي وأُمِّي، فَسَـوْفَ أُذْعِنُ لِقَرارِكُمـا، وأُوافِقُ عَلَى أَمْرِكُمـا، ولَكِنَّني سَـأَظَـلُّ حَزِيناً بَقِيّةَ عُمْرِي، لأَنَّني سَأَشْعُـرُ وَقْتَها، أَنَّني عَـاجِزٌ بِـآلفِعْلِ، وأقلُّ مِنْ أيِّ إنْسانٍ، لأَنَّني بِلاَ ذِراعَيْنِ، فَهُما اللَّذانِ مَنَعانِي مِن قِتالِ الأَعْدَاء».

تَبَلَّلَتْ عَيْنا الخيَّاطِ بِآلدُّمُوعِ، وآحْتَضَنَ ولَدَهُ وَقَالَ: «لا يا بُنَيَّ.. لا تَقُـلْ هَذَا الحَـدِيثَ مَرَّة أُخْـرَى، إنَّكَ سَيّـدُ الشُّبـانِ، ولَسْتَ أقلَّ مِنْ أَيِّ إنْسانٍ، فَلْتَنْطَلِقْ لِمُلاقَاةِ الأَعْداء. فَـإنْ كَانَتِ النَتِيجَةُ النَصْرَ فَهُوَ مِنْ عِنْد اللَّهِ وَسَوْفَ نَفْتَخِرُ بِكَ أنا وأُمُّكَ، وإنْ كَـانَتِ الشَّهـادَةُ مِنْ نَصِيبِـكَ فَلَنْ نَبْكِيَ عَلَيْـكَ، وإنّمـا سَنَفْـرَحُ بِشهادَتِكَ، لأَنَّ اللَّهَ كَرَّمكَ بِها».

وَدَّعَ عَلاء أباهُ وأُمَّـهُ، وآنْطَلَقَ فِي الحَـالِ، صَوْبَ القَلْعَـةِ القَدِيمةِ، الَّتِي يَسْكنُها قائِدُ الفُرْسان.

وهُناكَ وَجَدَ علاء آلافاً وآلافاً مِنَ الرِّجالِ والشُّبانِ، الَّذِينَ قَدِمُوا مِنْ كُلِّ الأَنْحاءِ، ووَقَفُوا فِي صُفُوفٍ طَوِيلةٍ مُتراصَّـةٍ، أَمامَ القَلْعَـةِ القَدِيمَـةِ، يَنْتَظِرُونَ تَـوْزِيـعَ السِّـلاحِ عَلَيْهِمْ، والخُـرُوجَ لِمُلاقاةِ الأَعْداء.

وَكَانَ قائِـدُ الفُرْسـانِ يَقُومُ بِتَـوْزيعِ السِّـلاحِ بِنَفْسِهِ، عَلَى أَفْرادِ جَيْشِهِ، وكَانَ السِّلاحُ سُيُـوفاً ودُرُوعـاً ونِبالاً ورِمـاحـاً. وقَـدْ رَاحَ فُرْسانُ القائِدِ يُسـاعِدُونَـهُ فِي تَوْزِيـعِ السِّلاحِ، وهُمْ يَبُثُّـونَ الحَماسَةَ والشَّجـاعَةَ فِي قُلُوبِ المُتقَـدِّمينَ، فَتَعْلُو الصَّيْحاتُ مِنْ أَفْواهِ الجُنُودِ، هادِرةً تَهُزُّ الجِبال.

وعِنْدما حَلَّ الدَّورُ عَلَى عَلاء لِيأْخُذَ سِلاحَهُ، نَظَرَ إِلَيْهِ قائِدُ الفُـرْسانِ مُتَعَجِّبـاً وَقَـالَ مُتَحَيِّـراً: «أَيُّهـا الشَّـابُّ، كَيْفَ يُمْكِنُـكَ الانْضِمامُ إِلَى الجَيْشِ وَحَمْلُ السِّلاحِ وأَنْتَ بِلا ذِرَاعَيْنِ؟».

أَجـابَهُ عـلاء: «سَيِّـدِي القـائِـدُ، إِنَّنِي أَهِبُ قَلْبِي ورُوحي فِـداءً لِـوَطَنِي، فَـلا تَحْـرِمْنِي شَـرَفَ هَـذَا العَمَـلِ والـوَاجِبِ المُقدَّسِ، فَإِنْ كُنْتُ لا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ السِّلاحِ، فَلا بُدَّ أَنَّ هُناكَ عَملاً آخَر يُناسِبُني، لِخِدْمةِ وَطَنِي».

وهُناكَ وَجَدَ علاء آلافاً وآلافاً مِنَ الرِّجالِ والشُّبانِ، الَّذِينَ قَدِمُوا مِنْ كُلِّ الأَنْحاءِ، ووَقَفُوا فِي صُفُوفٍ طَوِيلةٍ مُتراصَّةٍ، أَمامَ القَلْعَةِ القَدِيمَةِ، يَنْتَظِرُونَ تَوْزِيعَ السِّلاحِ عَلَيْهِمْ، والخُرُوجَ لِمُلاقاةِ الأَعْداء.

وَكَانَ قائِدُ الفُرْسانِ يَقُومُ بِتَوْزيعِ السِّلاحِ بِنَفْسِهِ، عَلَى أَفْرادِ جَيْشِهِ، وكَانَ السِّلاحُ سُيُوفاً ودُرُوعاً ونِبالاً ورِماحاً. وقَدْ رَاحَ فُرْسانُ القائِدِ يُساعِدُونَهُ فِي تَوْزِيعِ السِّلاحِ، وهُمْ يَبُثُّونَ الحَماسَةَ والشَّجاعَةَ فِي قُلُوبِ المُتقَدِّمينَ، فَتَعْلُو الصَّيْحاتُ مِنْ أفْواهِ الجُنُودِ، هادِرةً تَهُزُّ الجِبال.

وعِنْدما حَلَّ الدَّورُ عَلَى عَلاء لِيأْخُذَ سِلاحَهُ، نَظَرَ إِلَيْهِ قائِدُ الفُرْسانِ مُتَعَجِّباً وَقَالَ مُتَحَيِّراً: «أَيُّها الشَّابُّ، كَيْفَ يُمْكِنُكَ الانْضِمامُ إِلَى الجَيْشِ وَحَمْلُ السِّلاحِ وأَنْتَ بِلا ذِرَاعَيْنِ؟».

أَجابَهُ علاء: «سَيِّدِي القائِدُ، إِنَّنِي أَهِبُ قَلْبِي ورُوحي فِداءً لِوَطَنِي، فَلا تَحْرِمْنِي شَرَفَ هَذَا العَمَلِ والوَاجِبِ المُقدَّسِ، فَإِنْ كُنْتُ لا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ السِّلاحِ، فَلا بُدَّ أَنَّ هُناكَ عَملاً آخَر يُناسِبُني، لِخِدْمةِ وَطَنِي».

أُعْجِبَ قائِدُ الفُرْسانِ بِشَجاعَةِ علاء وقَالَ: «حَسناً أَيُّها الشَّابُّ، سَوْفَ تَكُونُ ضِمْنَ مُؤَخِّرَةِ الجَيْشِ، فَتُعاوِنَ فِي حَمْلِ العَتادِ والسِّلاحِ فَوْقَ ظَهْرِكَ، وَتَنْقُلَهُ إِلَى إِخْوانِكَ ورِفاقِكَ فِي المُقدِّمة».

سَعِدَ علاء بِقرارِ قائِدِ الفُرْسانِ وقَالَ: «سأَفْعَلُ يا سَيِّدِي وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّكَ».

ولَكِنَّ أَحَدَ الفُرْسانِ قَالَ ساخِراً: «وما حَاجَتُنا إِلَى مَنْ يَحْمِلُ الطَّعامَ والسِّلاَحَ، فإن لَدَيْنا الكَثِيرَ مِنَ الدَّوابِّ والبِغالِ، الَّتِي تَقُوم بِنَفْسِ العَمَل. إِنَّنا نُرِيدُ مُقاتِلِينَ لا حَمَّالِين».

تَبَلَّلَتْ عَيْنا عَلاء بِالدُّمُوعِ عِنْدما سَمِعَ حَدِيثَ الفَارِسِ، وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسِها وَقَعَتْ عَيْناه عَلَى ابْنَةِ قائِدِ الفُرْسانِ الجَمِيلَةِ، وَهِيَ واقِفَةٌ فِي شُرْفَةِ القَلْعَةِ، وتَنْظُرُ نَحْوَ عَلاء فِي إِشْفاقٍ، فَخَجِلَ علاء وتَمنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ مُتَطوِعاً، حَتَّى لا يَتَعَرَّضَ لِتِلْكَ الإِهانَةِ، ويُحِسَّ بِعَجْزِهِ وعاهَتِهِ.. وتَوَقَّعَ أَنْ يُنَحِّيَهُ القائِدُ عَنِ الانْضِمامِ لِلْجَيْشِ الذَّاهِبِ لِقتالِ الأَعْداء.

وَلِكنَّ قائِدَ الفُرْسانِ قَالَ فِي إصْرارٍ: «لَقَدْ أَمَرْتُ أنْ يَنْضَمَّ هَـذَا الشَّابُّ إِلَى جَيْشي، ولَنْ أتـراجَعَ عَنْ قَـرارِي، فَالجُنْـدِيَّـةُ شَرفٌ لا أَسْتَطِيعُ أنْ أَحرِمَ مِنْهُ إنْساناً، والدِّفاعُ عَنِ الوَطَنِ حَقٌّ لا يُمْكِنُ آنْتِزاعَهُ مِنْ أَيِّ رَجُلٍ أو شابٍّ مَهْما كَان».

رَفَعَ عَلاء عَيْنَيْهِ إِلَى آبْنَةِ قائِدِ الفُـرْسانِ الحَسْنـاءِ، فَشَاهَـدَ وَجْهَها وقَدْ أضاءَ بِآلسَّعـادةِ لِقَرارِ والـدِهـا. فَسَعِـدَ علاء بِـذَلِكَ، وآنضَمَّ إِلَى مُؤَخَّـرةِ الجَيْشِ، وقـامَ بَعْضُ المُعـاوِنينَ، بِتَحْمِيلِهِ فَـوْقَ ظَهْـرِهِ بـالسِّـلاحِ والعَتـادِ، مِنْ سُيُـوفٍ وسِهـامٍ ونِبـالٍ، ورَبَطُوها جَيِّداً، حَتَّى لا تَسْقُطَ مِن مَكانِها.

وبَعْدَ وَقْتٍ آكْتَمَلَ تَسْلِيحُ أفْرادِ الجَيْشِ، ودُقَّتِ الـطُّبُولُ، وعَلا صَوْتُ النَّفيـرِ، فَتأَهَّبَ الجَيْشُ لِلتَقَـدُّم. ومَع إِشـارةِ قائِـدِ الفُـرْسانِ، بَـدأَ آنْدِفـاعُ الجَيْشِ نَحْوَ الأَعْـداءِ، الَّـذِينَ فَـرَضُـوا الحِصارَ، حَوْلَ مَدِينةِ الأَسْرار. وكانَ قِوامُ الجَيْشِ عَشْرةَ آلافِ مُقاتِلٍ، وألفَ فارِسٍ، ومائةً مِن المُعاوِنينَ والحمّالِينَ.

وبَعْدَ شَهْرٍ مِن السَّيْرِ المُتَواصِـلِ، وَصَلَ الجَيْشُ بِـآلقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، وأَطَلَّ القائِدُ مَعَ فُرْسانِهِ مِنْ فَـوْقِ تَلَّةٍ عَالِيـةٍ،

فَشاهَدُوا مَدِينةَ الأَسْرارِ مُحاصَرةً، بِعَددٍ قَلِيلٍ مِنَ الأَعْداءِ، لا يَتَجاوَزُ ألفَ جُنْدِيٍّ، ومائةَ فارِسٍ، وكَمِيّةً قَلِيلةً مِنَ العَتاد. فَدُهِشَ قائِدُ الفُرْسانِ وقَالَ: «هَذَا عَجِيبٌ، كَيْفَ جاءَتْنا الأَخْبارُ بِأَنَّ مَدِينةَ الأَسْرارِ، مُحاصَرَةٌ بِأَلْفِ ألفِ جُنْدِيٍّ مِن جُنُودِ الأَعْداءِ، وعَشْرةِ آلافِ فارِسٍ وجَوادٍ، حَتَّى خَشِينا عَلَى كُنُوزِها مِنَ النَّهْبِ، وَعَلى أَهْلِها مِنَ القَتْل؟».

قَالَ أَحَدُ الفُرْسانِ: «لَا بُدَّ أَنَّ الأَخْبارَ كَانَتْ كاذِبةً أيُّها القائِدُ أو مُبالَغاً فِيها، والرأْيُ عِنْدي أنْ نُهاجِمَ جَيْشَ الأَعْداءِ فِي الحَالِ، وَلَنْ تَمْضِيَ ساعَةٌ حَتَّى نَكُونَ قَدْ أَلْحَقْنا بِهِ الهَزِيمَة. فإنَّ جَيْشَنا يُماثِلُ جَيْشَ الأَعْداءِ عَشْرَ مَرَّاتٍ فِي الجُنُودِ والفُرْسانِ والعَتادِ، ولا حَاجَةَ بِنا إِلَى الخِدْعةِ أو الاحْتِيالِ، ورَسْمِ الخُطَطِ لِهَزِيمَةِ الأَعْداءِ، فالأَمْرُ يَبْدُو سَهْلاً هَيِّناً، لا يَحْتاجُ إِلَى خُطَطٍ أو تَدْبِيرٍ».

فَكَّرَ قائِدُ الفُرْسانِ لَحْظةً ثُمَّ قَالَ: «هَذَا رأيٌ صائِبٌ، ويَجِبُ أنْ نَأْخُذَ الأَعْداءَ عَلى غِرةٍ، فَلا يَفيقُوا إلَّا بَعْدَ أنْ تَكُونَ الهَزِيمَةُ قَدْ حَلَّتْ بِهِمْ، وبَدَّدَتْ شَمْلَهُمْ ومَزَّقَتْ صُفُوفَهُمْ».

وأَعْطَى قائِدُ الفُرْسانِ إشارتَهُ، وَفِي الحَالِ آنْدَفَعَ جَيْشُهُ، يَتَقَدَّمهمُ الفُرْسانُ، ومِنْ خَلْفِهِمْ رُماةُ السِّهامِ، ومِنَ الوَراءِ الجُنُودُ المُشاة. وآنْدَفَعَ الجَمِيعُ نَحْوَ جَيْشِ الأَعْداءِ، مُهاجِمِينَ، بِشَجاعَةٍ وحَماسَةٍ.

وما كَادَ الجَيْشانِ يَتَلاحَمانِ، حَوْلَ أَسْوارِ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، حَتَّى أَطْلَقَ حامِلُ نَفِيرِ الأَعْداءِ نَفِيرَهُ فَجْأَةً. وفِي الحَالِ دوَّى صَوْتٌ هائِلٌ، كأَنَّهُ الرَّعْدُ أَوِ الزِلْزالُ، وآنْدَفَعَ مِن الغابَةِ القَرِيبَةِ، أَلفُ ألفِ جُنْدِيٍّ مِن جُنُودِ الأَعْداءِ، وعَشْرةُ آلافِ فارِسٍ مِن فُرْسانِهِمْ، وهُمْ يَدُكُّونَ الأَرضَ بِأَحْذِيَتِهِمْ وسَنابِكِ جِيادِهِمْ، فآرْتَجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا، وعَلا الصَّخْبُ والضَّجِيجُ يَصُمُّ الآذانَ، وآمتلأَ المَكانُ بِسَحابَةٍ هائِلَةٍ مِنَ التُّراب. وعِنْدَما شَاهَدَ قائِدُ الفُرْسانِ، جَيْشَ الأَعْداءِ الَّذِي كَانَ مُخْتَبِئاً فِي الغابَةِ، قَالَ ذَاهِلاً لِفُرسانِهِ: «لَقَدْ خَدَعَنا الأَعْداءُ فأَخْفُوا قُوَّتَهُمْ الحَقيقيَّةَ دَاخِلَ الغابَةِ، وتَرَكُوا عَدداً قَلِيلاً أَمامَ أَسْوارِ المَدِينَةِ لِيُغْرُونا بِقِتالِهِمْ، بِلاَ خُطَّةٍ أَوْ خِدعةٍ، فَيا لَهُمْ مِن ماكِرِينَ مُخادِعِينَ!».

* * *

9493
7477

وآنْـدَفَعَ جَيْشُ الأَعْـداءِ، كَأَنَّـهُ السَّيْلُ الجـارِفُ، الَّذِي لا يَسْتـطِيعُ إِيقـافَهُ أَوْ مَـواجَهَتَهُ إِنسـانٌ. وعَرِفَ قـائِدُ الفُـرْسـانِ أَنّ المَعْرَكَةَ لَنْ تَسيرَ لِصالِحِ جَيْشِهِ، مَهْما قَاتَلَ وحَارَبَ أَوْ أَظْهَرَ مِنَ الشَّجاعةِ والبَسالَة. فَقَدْ كَانَ جَيْشُ الأَعْداءِ قَدْرَ جَيْشِهِ مائَةَ مَرّةٍ، ولَكِنَّ القائِدَ صَاحَ فِي فُرْسانِهِ وجُنُودِهِ: «أَيُّها الفُـرْسانُ والجُنُـودُ، قاتِلُوا بِكُلِّ ما لَدَيْكُمْ مِنْ قُوّةٍ، فإمّا النَّصْرُ أو الشَّهـادَةُ، ولا شَيْءَ بَيْنَهُما».

فَآنْدَفَعَ جَيْشُ القائِدِ يُقاتِلُ بِكُلِّ ما لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ، يَتَقدَّمُهـم قائِدُ الفُرْسانِ نَفْسُـه. وتَقابَـلَ الفَريقـانِ: فَعَلَتْ قَعْقَعَةُ السِّـلاحِ، وصَهِيـلُ الخُيُولِ، وصِيـاحُ الجُنُـودِ، وصَلِيـلُ السُّيُـوفِ، وأَزِيـزُ السِّهامِ، وأَبْدَى قائِدُ الفُرْسانِ مِنَ الشَّجاعَةِ والمَهـارَةِ، ما يَعْجِـزُ عَنْهُ الوَصْفُ، فَكانَ يَقْتُلُ فِي الضَّـرْبَةِ الـوَاحِدَةِ رَجُلَيْنِ، ويَطِيحُ بِسَيْفِهِ رَقْبَةَ كُلِّ مَنْ يُصادِفُهُ مِنَ الأَعْداء. ولَكِنْ بَعْـدَ وَقْتٍ أَصابَ ذِراعَهُ الخَدَرُ ووهَنَتْ قُـوَّتُهُ، وشـاهَدَ جَيْشَـهُ يَتَقَهْقَرُ إِلَى الـوَراءِ، وأَفْـرادَهُ يَتَساقَـطُونَ وُحْدانـاً وجماعـاتٍ، بِسَبَبِ كَثْـرَةِ الأَعْـداءِ، ومُحاصَرَتِهِمْ لِجُنُودِهِ مِنْ كُلِّ مكـان. وأُصِيبَ قائِـدُ الفُرْسـانِ فِي ذِراعِـهِ وقَدمِـهِ وكتِفِهِ، ونَـزَفَ كَثِيراً، وأَوْشَـكَ أَنْ يَسْقُطَ مِن فَوْقِ

ظَهْرِ جَوادِهِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الإِعْياءِ وكَثْرةِ ما نَالَهُ مِنْ إِصابات.

شاهَدَ علاء كُلَّ ما جَرَى، وكَانَ مَكانَهُ فِي مُؤَخّرةِ الجَيْشِ، فَهَتَفَ غاضِباً: «هَؤُلاء الأَعْداءُ الملاعِينُ الماكِرُونَ، لَقَدْ خَدَعُونا وجَرُّونا إِلَى قِتالِهِمْ بِلا حَذَر».

وآنْدَفَعَ إِلَى الصُّفُوفِ الأَمامِيَّةِ يَبْغِي المُشارَكَةَ فِي قِتالِ الأَعْداء. وفِي اللَّحْظةِ نَفْسِها وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلَى أَحَدِ فُرْسانِ الأَعْداءِ، وهُوَ يُصَوِّبُ نَبْلَتَهُ إِلَى قائِدِ الفُرْسانِ، ويُوشِكُ عَلَى إِطْلاقِها نَحْوَ القائِدِ الجَرِيحِ، وفِي الحَالِ قَبَضَ علاء بِأَصابِعِ قَدمِهِ عَلَى حَرْبةٍ مُلقاةٍ فَوْقَ الأَرْضِ، وأَطْلَقَها كالسَّهْمِ نَحْوَ الفَارِسِ، فَشَقَّتْ صَدْرَهُ وقَتَلَتْهُ فِي الحَالِ، فَسَقَطَ فَوْقَ الأَرْضِ بِلا حِراكٍ.

إِلْتَفَتَ قائِدُ الفُرْسانِ إِلَى علاء وقَالَ: «شُكراً لَكَ أَيُّها الشَّابُّ الشُّجاعُ، لَقَدْ أَنْقَذْتَ حَياتِي».

قَالَ عَلاء: «سَيِّدي القائِدُ، إِنَّ اسْتِمْرارَ المَعْرَكَةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ نَوْعٌ مِنَ الانْتِحارِ، وسَوْفَ يُبِيدُنا الأَعْداءُ عَنْ آخِرِنا إِنْ

ظَلَلْنا عَلَى قِتالِنا، مَهْما تَكُنْ شَجاعَتُنا، بِسَبَبِ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وزِيادَةِ عَتادِهِمْ».

قَالَ القائِدُ غاضِباً: «وَهَلْ تُرِيدُنا أن نَهْرُبَ مِنَ المِيدَانِ، ونَتْرُكَ بِلادَنا لِلأَعْداءِ لِيَنْجُوَ بِأَنْفُسِنا؟».

أَسْرَعَ علاء يُصَوِّبُ حرْبَةً أُخْرَى نَحْوَ أَحَدِ جُنُودِ الأَعْداءِ، الَّذِي أَوْشَكَ عَلَى ضَرْبِ قائِدِ الفُرْسانِ بِسَيْفِهِ، فَقَتَلَتِ الحرْبَةُ جُنْدِيَّ العَدُو. وهَتَفَ علاء فِي قائِدِ الفُرْسانِ: «سَيِّدِي القائِدُ، إِنَّ المَوْتَ أَهْوَنُ عَلَى المُقاتِلِ الشَّرِيفِ مِن الفَرارِ، وأنا لَمْ أَطْلبُ ذَلِكَ، ولَكِنّي أَرَى أَنْ نَتَقَهْقَرَ دَاخِلَ أَسْوارِ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، حَتَّى نَسْتَطِيعَ جَمْعَ شَمْلِ جَيْشِنا مَرَّةً أُخْرَى، ومُداواةَ مُصابِينا، والتّفْكيرَ فِي خُطَّةٍ نَقْهَرُ بِها جَيْشَ الأَعْداء».

لَمَعَتْ عَيْنا القائِدِ وقَالَ: «هَذِهِ فِكْرَةٌ صائِبَةٌ، وَقَدْ يَكُونُ فِيها إِنْقاذُنا ونَصْرُنا».

وأَعْطَى قائِدُ الفُرْسانِ إشارَةً، فَتَقَهْقَرَ ما تَبقَّى مِن جَيْشِهِ فِي الحَالِ، وآنْدَفَعُوا نَحْوَ أَبْوابِ مَدِينَةِ الأَسْرارِ. وفَهِمَ القائِمُونَ عَلَى الأَبْوابِ خُطَّةَ قائِدِ الفُرْسانِ، فَفَتَحُوا أَبْوابَهُمْ بِسُرْعَةٍ،

وآنْدَفَعَ جَيْشَهُمْ لِيَحْتَمِيَ بِالأَسْوار. وقَبْلَ أنْ يَصِلَ إلَيْها الأَعْداءُ أَغْلَقَ الحُرَّاسُ الأَبْوابَ، فَنَجا الجَمِيعُ مِنَ الأَعْداء.

حَمَلَ الفُرْسانُ قائِدَهُمْ، وأَرْقَدُوه فِي فِراشٍ مُرِيحٍ، وضَمَّدُوا جِراحَهُ، وسَأَلَ القائِدُ مَنْ تَبَقَّى مِن فُرْسانِهِ عَنِ الحَالِ فِي الخَارِج. فأَطَلَّ الفُرْسانُ مِن فَوْقِ الأَسْوارِ، وعادُوا يَقُولُونَ لِقائِدِهِمْ: «إنَّ الأَعْداءَ يُحاصِرُونَ المَدِينَةَ مِنْ كُلِّ الأَرْكانِ، كأَنَّهُم النَّمْلُ أو الجَرادُ، وقَدْ بَدَأُوا بِمُحاوَلَةِ تَحْطِيمِ الأَبْوابِ بِمَعاوِلَ ضَخْمةٍ، وجُذُوعِ الأَشجار».

سَأَلَ القائِدُ حُراسَ أَبْوابِ المَدِينَةِ: «كَمْ مِن الوَقْتِ سَتَتَحمّلُ أبْوابُ المَدِينةِ هَذِهِ الضَربات؟».

فأَجابَ الحُرّاسُ: «إنّها لَنْ تَتحَمَّلَ أكْثرَ مِنْ ساعاتٍ أيُّها القائِدُ.. وَقَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ شَمْسُ الصَّباحِ، سَيَتَمَكَّنُ الأَعْداءُ مِنْ تَحْطِيمِ الأَبْواب».

نَهَضَ القائِدُ مُتأَلِّماً وقَالَ: «وما العَمَلُ الآنَ؟.. إنَّنا مُحاصَرُونَ مِن كُلِّ الأَرْكانِ، ولا أَمَلَ فِي النَّجاةِ.. سَوْفَ يَقْتَحِمُ الأَعْداءُ أَبْوابَ المَدِينَةِ، فَيَقْتُلُونَنا مَهُما كَانَتْ شَجاعَتُنا».

رَاقبَ علاء قائِدَ الفُرْسانِ حَزِيناً، وتَمَنَّى لَوْ كَانَ بِآسْتِطاعَتِهِ تَقْدِيمُ المَعُونَـةِ، أو التّضْحِيَـةُ بِنَفْسِـهِ، لإنْقاذِ بِـلادِه. وتَقَدَّمَ أحَـدُ سُكَّانِ المَدِينَةِ الكُهُولِ، وقَالَ لِقائِدِ الفُرْسـانِ: «سَيِّدِي القـائِد، إنَّ لَدَيَّ فِكْرةً، قَدْ يَكُونُ فِيهَـا إنْقاذُ مَـدِينَةِ الأَسْـرارِ، وكُلِّ مُـدُنِ بِلادِنا مِن الدَّمارِ.. فَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ أوْ رَكْضِ ساعَةٍ فَـوْقَ ظَهْرِ جَوادٍ، يَقَعُ سَدٌّ عَظِيمٌ، تُحْتَجَزُ خَلْفَهُ مِياهُ السُّيُولِ والأَمْطارِ، فإذَا تَمَكَّنَ أحَـدُ الفُـرْسـانِ مِنْ بُلُوغِ السَّـدِّ، وأدَارَ ذِراعَـهُ الهَـائِلَةَ ومحابِسَهُ العَظِيمَة، إنْزاحَتْ أَسْتارُهُ، وتَهَدَّمَتْ أحْجارُهُ، وآنْـدَفَعَ المَاءُ مِنْ وَرائِهِ كأَنَّهُ السَّيْلُ العارِمُ نَحْوَ جَيْشِ الأَعْداءِ، فَيُغْـرِقُهُمْ فِي الحَالِ.. وَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ الوَحِيدُ لِهَزِيمةِ الأَعْداء».

قَـالَ قائِـدُ الفُرْسـانِ بِقلَقٍ: «وَلَكِنْ.. ألا يُمْكِنُ أن يُغْـرِقَ السَّيْلُ سُكَّانَ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، بَعْدَ أنْ يَجْتاحَ الأَعْداء؟».

أجـابَ الكَهْلُ: «لا يـا سَيِّدِي، فـأَسْوارُ المَـدِينَةِ حَصِينَـةٌ قَوِيّةٌ، ويُمْكِنُها أنْ تُواجِهَ مائةَ سَيْلٍ أوْ شَلَّالٍ.. كَما أنَّ الأَرْضَ مُنْحَدِرةٌ خَلْفَ المَدِينَةِ، وسَيَسْقُطُ فِيها الماءُ، ولَنْ يُصِيبَ المَدِينةَ بِأَذًى».

قَالَ القائِدُ: «إِذَنْ فَلْنُعَجِّلْ بِهَذَا العَمَلِ، قَبْلَ شُرُوقِ شَمْسِ النَّهارِ، وقَبْلَ أنْ يَتَمَكَّنَ الأَعْداءُ مِنْ تَحْطِيمِ أَبْوابِ مَدِينةِ الأَسْرار».

ونَادَى فِي رِجالِهِ قائِلاً: «مَنْ مِنْكُمْ يُخاطِرُ بِحَياتِهِ ويَمْتَطي جَوادَهُ، فَيَخْتَرِقَ صُفُوفَ الأَعْداءِ ويَصِلَ إِلَى السَّدِّ، فَيَفْتَحَ محابِسَهُ، ويُدِيرَ ذِراعَهُ ويُطْلِقَ ماءَه، عَسَى أنْ يَكُون فِي ذَلِكَ نَصْرُنا، ودَحْرُ أعْدائِنا؟».

تَقَدَّمَ أَحَدُ الفُرْسانِ مِنَ القائِدِ وَقَالَ: «سأُخاطِرُ أَنا يا سَيِّدِي القائِد».

قَالَ الكَهْلُ مُحَذِّراً: «وَلَكِنْ يَجِبُ أنْ تَعْلَمَ أَيّها الفَارِسُ، أنّكَ مَتَى أدَرتَ ذِراعَ السَّدِّ ومحابِسَهُ، فَسَيَنْدفِعُ نَحْوَكَ ماءُ السَّدّ، ويُغْرِقُكَ فِي الحَال».

أجابَ الفارِسُ بِشَجاعةٍ: «لا يَهُمُّنِي ذَلِك، ما دَامَ مَوْتِي فِيهِ حَياةٌ لِوَطَنِي وقَوْمِي».

وفِي الحَالِ ارتَدَى الفَارِسُ دِرْعَهُ، وتَسَلَّحَ بِسَيْفِهِ ورِمْحِهِ وآمْتَطَى ظَهْرَ جَوادِهِ، وآنْدَفَعَ فِي اللَّيْلِ خَارِجاً مِنْ أَحَدِ أَبْوابِ

الأَسْـوارِ الخَفِيَّـةِ حَتَّى لا يَـراهُ جُنُودُ الأَعْـداءِ، وأَسْـرَعَ يَنْهَبُ الأَرْضَ بِجَـوادِهِ فِي آتّجـاهِ السَّـدِّ. ولَكِنَّ بَعْضَ جُنُـودِ الأَعْـداءِ لَمَحُوهُ وطارَدُوهُ ودارَت بَيْنَهُمْ مَعْرَكَةٌ، قَاتَلَ فِيها الفارِسُ بِبَسـالَةٍ، ولَكِنَّـهُ سَقَطَ صَرِيعـاً فِي النِّهايَـةِ بِسَبَبِ تَكـاثُـرِ جُنُـودِ الأَعْـداءِ، وإِصابَتِهِ بِمائَةِ ضَرْبَةٍ.

شَاهَدَ قائِدُ الفُـرْسانِ مـا جَرَى لِلفـارِسِ، مِن فَوقِ أَسْـوارِ المَـدِينَةِ، فغشّـاهُ الحُزْنُ واليـأْس. ولَكِنَّ فارِسـاً آخر عَـرَضَ أن يَقُومَ بِآلمُهِمَّـةِ نَفْسِها، وآنْـطَلَقَ بِجَوادِهِ، فَكـانَ مَصِيرُهُ كَـزَمِيلِهِ. وتَوالَتْ مُحاوَلاتُ الفُرْسانِ خِـلالَ اللَّيْلِ فَفشِلُوا جَمِيعـاً، وماتُـوا صَرْعَى ضَرَباتِ الأَعْداء. وانقضى الوَقْتُ سَرِيعـاً، حَتَّى لَمْ يَعُدْ باقِياً غَيْـرُ ساعَتَيْنِ عَلَى طُلُوعِ الفَجْـر. وتَضاءَلَ الأَمَـلُ فِي صَدْرِ قـائِدِ الفُـرْسـانِ، وأَدْرَكَ أَنَّـهُ لا سَبِيـلَ إِلَى بُلُوغِ السَّـدِّ، وإِنْقـاذِ المَدِينَةِ، وهَزِيمَةِ الأَعْداء.

تَقَدَّمَ علاء نَحْوَ قائِدِ الفُرْسـانِ وقَالَ لَـهُ: «سَيِّدِي القـائِدُ، هَـلْ تَسْمَحُ لِي بِشَـرفِ المُحـاوَلَـةِ لاخْتِـراقِ صُفُـوفِ الأَعْـداءِ، والـوُصُـولِ إِلَى السَّـدِّ، فَقَـدْ أَتَمَكَّنُ مِنْ رَفْـعِ ذِراعِـهِ، وإِدارَةِ مَحابِسِهِ؟».

تَصاعَدَتْ أصْواتُ الدَّهْشةِ والاسْتِنكارِ مِنَ الواقِفِين، وصَاحَ أحَدُ الفُرْسانِ غاضِباً: «ما هَذَا الَّذِي تَقُولهُ أيُّها الأَكْتَعُ، إنّ الفُرْسانَ قَدْ فَشِلُوا فِي آخْتِراقِ صُفُوفِ الأَعْداءِ، فَهَلْ تَظُنُّ أنَّكَ سَتَنْجَحُ فِي ذَلِكَ؟».

وقَالَ آخَرُ: «وَكَيْفَ سَتَقُودُ الجَوادَ الَّذِي سَيَحْمِلُكَ إِلَى هُناك وتُمْسِكُ اللِّجامَ، وأنتَ بِلا ذِراعَيْنِ؟».

أجابَ علاء: «لا حاجةَ بِي إِلَى جَوادٍ، ولَعَلَّ هَذَا ما يُسَهِّل مُهِمَّتِي، فَعِنْدَما يَرانِي الأَعْداءُ سَيَظُنُّونَنِي شابًّا فَقِيراً ذا عاهَةٍ لا عِلاقَةَ لَهُ بِالجَيْشِ، ورُبّما يَدَعُونَني أمُرُّ في سَلامٍ.. فأُفيدُ مِن سُرْعَتي فِي الوُصُولِ إِلَى مكانِ السَّدِّ قَبْلَ الفَجْرِ، وأحاوِلُ إدَارَةَ محابِسِهِ».

قَالَ قائِدُ الفُرْسانِ وَهُوَ يَتأَمَّلُ عَلاء بِإعْجابٍ: «أيُّها الشَّابُّ الشُّجاعُ، لَقَدْ أنْقَذْتَ حَياتِي مِنْ قَبْلُ، وأرْجو أنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ النَّجاحِ هَذِهِ المرَّة أَيْضاً، فَلَمْ يَعُدْ لَنا أَمَلٌ سِوَاكَ، والفَجْرُ عَلَى الأَبْوابِ، ولَمْ يَعُدْ باقِياً عَلَى شُرُوقِ الشَّمْسِ غَيْرُ ساعَتَيْنِ، وأَرْجُو مِنَ اللهِ أنْ يَكُونَ فِي نَقصِكَ إنْقاذُنا، وفِي عَاهَتِكَ نَصْرُنا».

ولَكِنَّ الفُرْسانَ أبْدُوا عَدَمَ الرِّضى، وإنْ لَمْ يَعْتَرِضوا، وقَالَ بَعْضهُمْ لِبَعْضٍ: «فَلْنَصْعَدْ فَوْقَ الأَسْوارِ، لِنُشاهِدَ نِهايةَ هَذا الشَّابِّ المَجْنُونِ، الَّذِي يَظُنُّ وهُوَ بِلا ذِراعَيْنِ أنّهُ قادِرٌ عَلى تَحْقِيقِ مَا لَم يَسْتَطِعْ أن يَقُومَ بِهِ أعْظَمُ الشُّجْعانِ، وأمْهَرُ الفُرْسان».

صَعِدَ الفُرْسانُ وقائِدُهُمْ إلَى الأَسْوارِ، وخَرَجَ علاء مُتَسلِّلاً مِنَ البَابِ الخَفِيِّ إلَى صُفُوفِ الأَعْداءِ، وسارَ بَيْنَهُمْ وَهُوَ لا يُبْدِي الاهْتِمامَ حَتَّى لا يَشُكَّ فِيه أحَدٌ. لَكِنّ أَحَدَ الجُنُود آسْتَوقَفَهُ قائِلاً: «مَنْ أنْتَ أيُّها الشّابُ وإلَى أيْنَ تَمْضي؟».

أجابَ علاء: «إنّي شابٌّ ذُو عَاهةٍ وخَرَجْتُ لِلتجَوّلِ مِن قَريَةٍ إلَى أُخْرى وتأخّرَ بي الوَقْت». وكَشَفَ عَنْ ذِراعَهِ فَضَحِكَ الجُنُودُ ساخِرِينَ مِن مَنْظَرِهِ وسَمَحُوا لَهُ بِالمُرُور.

ولَكِنْ قَبْل أنْ يَعْبُرَ علاء صُفُوفَهُمْ، إنْدَفَعَ خَلْفَهُ أحَدُ الفُرْسانِ وهُوَ يَصِيحُ: «إمْسِكُوا هَذَا الشَّابَّ، إنّهُ كاذِبٌ ومِنَ الأَعْداءِ، فَقَدْ شاهَدْتُهُ يَصْرَعُ أحَدَ الفُرْسانِ بِرُمْحٍ أَطْلَقَهُ مِنْ قَدَمِهِ، لإنْقاذِ قائِدِ جَيْشِه».

وفي الحَالِ آنْدَفَعَ فُرْسانُ الأَعْداءِ نَحْوَ علاء، فأَدْرَكَ علاء حَرَجَ مَوْقِفِهِ، وأنّهُ هَالِكٌ إنْ لَمْ يُسْرِعْ بِآلفرار. فآنْطَلَقَ جارِياً كأنّه رِيحٌ أو غزالٌ، وكَانَتْ سُرعَتُهُ فِي الجَري هائِلَةً، حَتَّى أنّ فُرْسانَ الأَعْداءِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحاقَ بِهِ، وهُمْ فَوْقَ جِيادِهِمْ، فَصَوّبُوا سِهامَهُمْ وأطْلَقُوها عَلَيْه، فأَصابَهُ أحَدُها فِي كَتِفِهِ، فَتَعثَّرَ علاء وسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ، فتهلَّلَ فُرسانُ الأَعْداءِ وعادُوا أدْراجَهُمْ، وهُمْ مُوقِنُونَ مِنْ مَقْتلِ علاء ومَصْرَعِه.

أمّا قائِدُ الفُرْسانِ فَتبلَّلَتْ عَيْناهُ وكَادَ يَبْكِي لِما أَصابَ علاء، وقَالَ الفُرْسانُ سَاخِرينَ: «لَقَدْ لاَقَى هَذَا الشَّابُّ نِهايَتَهُ، جَزاءَ غُرورِهِ، فَماذَا كَانَ يَسْتَطيعُ أنْ يَفْعَلَ وهُوَ بِلاَ ذِرَاعَيْنِ؟».

ولَكِنَّ علاء لَمْ يَمُتْ، وإنْ تَظاهَرَ بِذَلِكَ حَتَّى يَكُفَّ فُرْسانُ الأَعْداءِ عَن مُطاردَتِه. وعِنْدَما آطْمأَنَّ إلَى آبْتِعادِهِمْ إنْتَزَعَ السَّهْمَ بِقَدَمِهِ مِن كَتِفِهِ، وكَتَمَ أَلَمَهُ، ثُمّ نَهَضَ جَارِياً بِأَقْصى سُرْعَتِهِ وَهُوَ يَعْرِفُ أنّ الوَقْتَ أصْبَحَ ضَيِّقاً جِدًّا، وأنَّ إنْقاذَ البِلادِ صَارَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ.

* * *

وَصَلَ علاء إِلَى السَّدِّ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بِساعَةٍ، بَعْدَ أنْ قَطَعَ المَسافَةَ إِلَيْهِ فِي أَقَلَّ مِنْ ساعةٍ، ووَقَفَ يَلْتقِطُ أنْفاسَهُ وكَتَمَ آلامَ جُرْحِهِ الَّذِي كَانَ يَنْزِفُ دِماءً غَزِيرةً. وأَلْقَى نَظْرةً عَلَى ذِراعِ السَّدِّ، فَوَجَدَها ضَخْمةً هائِلَةً، كأَنَّها جِذْعُ شَجَرةٍ أو نَخْلَةٍ، يَتطَلَّبُ رَفْعُها قُوَّةَ عَشْرةِ رِجال. وحَتَّى لَوْ كَانَ لِعلاء ذِراعانِ قَوِيّتانِ، ما أَمْكَنَهُ تَحْريكُها أوْ زَحْزَحَتُها مِنْ مَكانِها.

أمّا المَحابِسُ فَكانَتْ مُسْتدِيرةً كَبِيرةً، قُطْرُ كُلٍّ مِنْها مِتْرانِ، وتَتطلَّبُ قُوّةً هائِلَةً لإدارَتِها.

إِقْتَرَبَ علاء مِنَ الذِّراعِ الكَبِيرةِ والمَحابِسِ الضَّخْمةِ، وحَاوَلَ تَحْرِيكَها بِقَدَمَيْهِ، ولَكِنّها لَمْ تَتأَثَّرْ بِمُحاولَتِهِ، أو تَتزَحْزَحْ مِنْ مَكانِها، فَعرفَ علاء أنّهُ يَبْذُلُ جُهْداً ضائِعاً. وأنَّ الأَمْرَ يَتطلَّبُ قُوّةً أكْبَرَ مِنْهُ بِعَشَراتِ المَرَّات.

ووَقَعَ بَصَرُ علاء عَلَى بَعْضِ الجِيادِ البَرّيةِ تَرْعَى فِي الكَلإِ القَرِيبِ، وهِيَ آمِنَة مُطْمَئِنَّةٌ. فانْبَعَثَ الأَمَلُ فِي نَفْسِهِ مَرّةً أُخْرَى، وقَالَ لِنَفْسِهِ: «لَوْ أَنّني تَمَكَّنْتُ مِن اصْطِيادِ هَذِهِ الجِيادِ، ورَبْطِها بِالحِبالِ لِزَحْزَحَةِ المَحابِسِ والذِّراعِ، لَكانَ فِي ذَلِك

نَجاةُ قَوْمي وَوَطَني، والأَمْرُ كُلُّه الآنَ أصْبَحَ يَعْتَمِدُ عَلَى مَهارَتِي فِي آصْطيادِ الجِيادِ بِقَدَميَّ».

والتَقَطَ حَبْلاً قَرِيباً، وعَقَدَهُ بِأصابِعِ قَدَمَيهِ فَصَنَعَ مِنْهُ أنْشُوطةً طَوِيلَةً، طَوَّحَها فِي الهَواءِ فَسَقَطَتْ حَوْلَ رَقَبَةِ أقْرَبِ الجِياد. وأَمْسَكَ علاء الحَبْلَ بِأَسْنانِهِ، وقَادَ الجَوادَ إِلَى الذِّراعِ الكَبِيرَةِ، فَقَيَّدَ نِهايَةَ حَبْلِهِ فِي ذِراعِ السَّدِّ بِأَصابِعِ قَدَمِهِ، ثُمَّ التَقَطَ حَبْلاً آخَرَ، وكَرَّرَ المُحاولَة. وفِي نِصْف ساعةٍ كَانَ قَد آصْطادَ عَشْرَةَ جِيادٍ بَرِّيةٍ، فَقَيَّدَها ورَبَطَ حِبالَها بالمحابِسِ والذِّراعِ. ونَظَرَ إِلَى السَّماءِ فَشاهَدَ الشَّمْسَ وهِيَ تُوشِكُ على الشُّرُوقِ، فَلَمْ يَعُدْ بَاقِياً عَلَى آنْتِهاءِ المُهْلَةِ غَيْرُ دقَائِقَ مَعْدُودَة. فَقَالَ لِنَفْسِهِ: «فلأُسْرِعْ بِفَتْحِ السَّدِّ، ولا بُدَّ أنَّ الماءَ سَيَنْدَفِعُ نَحْوَ الأَعْداءِ بِسُرعةٍ عَظِيمةٍ فِي دَقائِقَ قَلِيلةٍ، فَيُغْرِقَهُمْ قَبْلَ أن يَتمكّنُوا مِنْ تَحْطِيمِ أبْوابِ مَدينَةِ الأَسْرار».

وصَرَخَ علاء فِي الجِيادِ المَرْبُوطةِ بِالحِبالِ، فَجَفلَتْ فِي الحَالِ، وآنْطَلَقَتْ مَفْزُوعَةً وهِيَ تَشُدُّ حِبالَها، فَتَحَرَّكَتْ ذِراعُ السَّدِّ، ودارَتِ المَحابِسُ بِقُوّةِ الخَيْلِ، وآنْدَفَعَ الماءُ مِنْ خَلْفِ

السَّدِّ كأنّـهُ الطّوفـانُ، فَجَرَفَ كُـلَّ شَيْءٍ فِي طَرِيقـهِ وَهُوَ يَجْـرِي هـادِراً، بِصَوْتٍ يَصُمُّ الآذَان. ولَـطَمَ الماءُ عـلاء، ودَفَعَـهُ بعُنْفٍ شَدِيدٍ، وأغْرَقَهُ فِي جَوْفِهِ.. وحَـاوَل علاء أن يَصْعَـدَ إلَى سَطْحِ المـاءِ، مُسْتَخْدِمـاً قَدَمَيْـهِ، لَكِـنَّ المُحاوَلَـةَ كَانَتْ عَسِيـرةً عَلَيْهِ، والسِّباحَةَ كَانَتْ أمْراً مُسْتَحيـلاً بِالنِّسْبَـةِ لَهُ لِفَقْـدِهِ لِذِراعَيْـهِ. فَفَقَدَ علاء قُوَّتَهُ سَرِيعـاً بِسَبَبِ الإصابَـةِ فِي كَتفِهِ، وكَثْـرةِ ما نَـزَفَ مِنْ دِمـاءٍ، وعَرفَ أنّـه لا فَائِـدةَ مِنَ المُقاومـةِ، فأَغْلَقَ عَيْنَيْـهِ رَاضِيـاً بِمَوْتِهِ، ما دَامَ قَدِ آسْتَطاعَ إنْقاذَ وَطَنِهِ وأهْلِهِ.

* * *

فَتَـحَ علاء عَيْنَيْـهِ، ودُهِشَ عِنْدَمـا شَاهَـدَ نَفْسَـهُ راقِـداً فِي فراشٍ وَثِيرٍ، وقَدْ ضُمِّدَ جُرْحُهُ وخَفَّ ألَمُـهُ، ودُهِشَ أكْثَرَ عِنْـدَما شاهَدَ أجْمَلَ فَتاةٍ رآها فِي حَياتِهِ تَقُومُ بِالعِنايةِ بِهِ، والسَّهَـرِ عَلَيْهِ، فَسَأَلَها مُنْدَهِشاً: «أَيْنَ أنـا؟» فأَجـابَتْهُ الحَسْنـاءُ: «إنّكَ فِي قَلْعَـةِ قائِدِ الفُرْسانِ، وأنا آبْنَتُهُ».

فَتَذَكَّرَ علاء وَجْهَ الحَسْناءِ الَّتِي كَانَ قَدْ شاهَـدَهَا فِي شُـرْفَةِ القَلْعـةِ القَدِيمَـةِ، قَبْلَ أنْ يَلْتَحِقَ بِجَيْشِ والِـدِهـا، فَـزادَ عَجَبُـهُ

وسأَلَها عَمَّا جَرَى، وما المَصِيرُ الَّذِي آنْتَهَتْ إِلَيْهِ الحَرْب.
فأَجابَتْهُ الحَسْناءُ: «لَقَدْ كَانَ النَّصْرُ حَلِيفَنا بِفَضْلِ اللَّهِ وشَجاعَتِكَ، فَقَدْ وَصَلَ ماءُ السَّدِّ فِي الوَقْتِ المُناسِبِ، قَبْلَ أنْ يَتَمَكَّنَ الأَعْداءُ مِنْ تَحْطِيمِ أبْوابِ المَدِينةِ بِلَحظاتٍ، فأَغْرَقَهُمْ كأَنَّهُم النَّمْلُ أو الجَرَاد. وفِي دَقائِقَ جَرَفَهُم الماءُ بَعِيداً، وهُمْ قَتْلَى أو غَرْقَى، فَلَحِقَتْ بِهِمْ هَزِيمةٌ شَنِيعَةٌ، ولَمْ يَنْجُ مِنْهُم إنْسانٌ، ولَمْ يَلْحَقْ بِمَدِينةِ الأَسْرارِ ومَنْ كانُوا فِيها أيُّ أذًى».

أغْمَضَ علاء عَيْنَيْهِ فِي رَاحةٍ وقَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ».

ثُمَّ تَذَكَّرَ شَيْئاً ففَتحَ عَيْنيهِ وقَالَ: «ولَكِنْ كَيْفَ تَمَّ إنْقاذِي، وَقَدْ كُنْتُ عَلَى وشكِ الهَلاَكِ؟».

أَجابَتِ الحَسْناءُ: «لَقَدْ تَمَّ ذَلِك بِفَضْلِ رِعايةِ اللَّهِ لَكَ، فَقَدْ دَفَعَكَ الماءُ إِلَى الشاطِئِ قَبْلَ أنْ يُغرِقَكَ، فَعَثَرنا عَلَيْكَ بَعْدَ فَتْرةٍ غائِباً عَنِ الوَعي، فأَتَى بِكَ والِدِي إِلَى هُنا، وأَمَرَني بِرِعايَتِكَ والسَّهَرِ عَلَيْكَ».

وفِي اللَّحْظةِ نَفْسِها دَخَلَ قائِدُ الفُرْسانِ، وآحْتَضَنَ علاء وقَالَ: «لَقَدْ قُمتَ بِعَمَلٍ عَظِيمٍ أيُّها الشَّابُّ الشُّجاعُ، وضَرَبْتَ

أرْوعَ الأَمْثالِ فِي قُدْرةِ الإِنْسانِ عَلَى البُطولَةِ والكَمالِ، مَهْما كَانَ نَقْصُهُ أوْ عِلَّتُهُ، فَكُنْتَ خَيْراً مِنْ ألفِ فَارسٍ، وأفْضلَ مِنْ جَيْشٍ كامِلٍ. فَتَمَّ إنْقاذُ البِلادِ مِنَ الأَعْداءِ بِفَضْلِ شَجاعَتِكَ، ومِنْ أجْلِ هَذَا فَقَدْ أنعَمْتُ عَلَيْكَ بِلَقبِ فارِسٍ عَظِيمٍ، وسَتَكُونُ مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ سَاعِدِي الأَيْمَنَ، ومُسْتشاري الأَوّلَ فِي كُلِّ الحُرُوبِ والمَعارِكِ».

امتلأَتْ عَيْنا علاء بِآلدُّمُوعِ وقَالَ: «شُكْراً لَكَ يا سَيِّدِي قائِدَ الفُرْسانِ، فَهَذَا شَيْءٌ لَمْ أكُنْ أحْلُمُ بِهِ».

ونَظَرَ إِلَى آبْنَتِهِ الحَسْناءِ وقَالَ: «وشُكْراً لَكِ أيَّتُها الفَتاةُ الكَرِيمَةُ بِسَببِ رِعايتِكِ، ومُداواتِكِ لي».

خَجِلَتْ إِبْنةُ القائِدِ ممّا قَالَهُ علاء، وغادَرَتْ حُجرَتَهُ، وآبْتَسَمَ القائِدُ وقَالَ: «أيُّها الشَّابُّ البَاسِلُ، إنَّني أرَى فِي عَيْنَيكَ إعْجابَكَ بِآبْنَتي، وحُبَّكَ لها، فَهَلْ تُرِيدُ خِطْبَتها والزَّواجَ مِنْها؟».

قَالَ علاء حَزِيناً: «وَهَلْ تَرْضَى أيُّ فَتاةٍ، بِآلزَّواجِ مِنْ شَابٍّ بِلَا ذِراعَيْنِ؟».

أَجابَ قائِدُ الفُرْسانِ: «إنَّ أيَّ فَتاةٍ تَتمنَّى الزّواجَ مِنْ شَابٍّ لَهُ شَجاعَتُكَ، فَهَذَا شَرَفٌ لأيِّ فَتاةٍ مَهْما كَانَتْ، ومُنْذُ أعْوامٍ نَذَرَتْ آبْنَتي نَفْسَها، بِأَلَّا تَتزوّجَ إلّا الفارِسَ الَّذِي يُظهِرُ مِنَ الشَّجاعَةِ ما لَمْ يُظْهِرْه إنْسانٌ».

قَالَ عَلاء: «ولَكِنْ أرْجُو أنْ تَسْأَلَها أوّلاً يا سَيِّدِي قائِدَ الفُرْسانِ، فأَنَا أخْشَى أنْ تكونَ مَشاعِرُها نَحْوي شَفقةً ولَيْسَتْ حُبًّا أو إعْجاباً».

أجابَ القائِدُ: «سأفْعَلُ فِي الحَال».

وغابَ لَحَظاتٍ ثُمّ عادَ وقَالَ: «إنّ آبْنَتي تَقُولُ، إنّهُ شَرفٌ لَهَا أنْ تَتزوّجَ شابًّا شُجاعاً مِثْلَكَ، لا مَثيلَ لِشَجاعَتِهِ فِي كُلِّ البِلاد».

وأَمَرَ قائِدُ الفُرْسانِ فَخَرَجَ المُنادُونَ يُعْلِنُونَ نَبأ زَواجِ آبْنَتِهِ الحَسْناءِ مِنَ الفارِسِ العَظِيمِ عَلاء. فَجاءَ والِدُهُ ووالِدَتُهُ العَجُوزانِ مُهَنِئَيْنِ، وآحْتضَنا آبْنَهُما باكِيَيْنِ لِنَجاتِهِ، وما أظْهَرَهُ مِن شَجاعَةٍ.

وتَمَّ الـزَّواجُ، وعَاشَ عـلاء معَ زَوْجَتِـهِ فِي سَعادَةٍ وهنـاءٍ، ومِنْ وَقْتِها لَمْ يَعُدْ أيُّ إنْسانٍ يَحْزَنُ أوْ يَـيْأسُ، إذا فَقَدَ ذِراعَيْه أوْ حَتَّى ساقَيْهِ، بَلْ صَارَ كُلُّ إنْسانٍ يَسْتَمِدُّ مِن عَجْزِهِ قُوَّةً وإصْراراً، ويُعَوِّضُ نَقْصَهُ بِكَمالِهِ فِي صِفَةٍ أُخْرَى، وصَـارَ كُلُّ إنْسـانٍ يَتَمنَّى أن يَكُونَ مِثْلَ الفارِسِ العَظِيمِ علاء، أَشْجَعِ الفُرْسان.

* * *

الفارس العظيم

أسئلـــة:

١ ـ اذكر صفات علاء ابن الخياط.

٢ ـ كيف كانت رده فعل الأولاد والناس تجاهه؟.

٣ ـ من كان يرضى بصحبته؟

٤ ـ كيف تعلم علاء الخياطة؟

٥ ـ ما كان تصرف علاء وأهله أمام إعلان الحرب؟

٦ ـ بِمَ عمل علاء في الجيش؟

٧ ـ ما كانت الخدعة التي تعرض لها جيش قائد الفرسان؟

٨ ـ كيف خلَّص علاء قائد الفرسان من الموت؟

٩ ـ ما كانت المحاولة الأخيرة لإنقاذ البلاد؟ وكيف قام علاء بذلك؟ أوجز الحدث.

ـ اشـــرح الكلمات التالية:

زاجرين ـ أقرانه ـ الكلأ ـ توانَيْتُ ـ اسرّ برغبته.

«ـ وما كاد الجيشان يلتحمان حول أسوار المدينة حتى أطلق حامل نفير الأعداء نفيره فجأة.»

ركب ثلاث جمل على غرار ما سبق تتضمن: وما كاد... حتى.

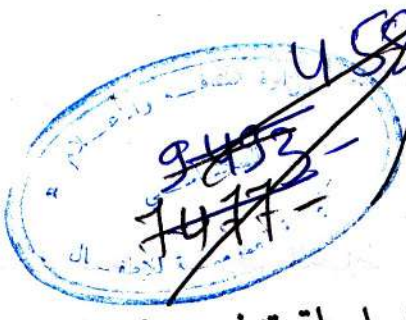

هذه السلسلة تتضمن :

١ ـ القصر المسحور
٢ ـ الفارس العظيم
٣ ـ القرصان والبهلوان
٤ ـ نور والأميرة بدور
٥ ـ أميرة البحر الفضيّ
٦ ـ جنيَّة الأمنيات الطيبة
٧ ـ كهرمان والأمير بهاء الدين
٨ ـ الحصان السحري
٩ ـ جبل السحاب
١٠ ـ الفارس المقنع

١١ ـ مغامرات عقلة الإصبع
١٢ ـ المرآة العجيبة
١٣ ـ الجوهرة الغالية
١٤ ـ البطل الصغير
١٥ ـ علاء الدين والحصان الطيّار
١٦ ـ الجزيرة المسحورة
١٧ ـ ذات الشعر الذهبي
١٨ ـ سعفان الجبار
١٩ ـ كنز الشاطر حسن
٢٠ ـ الحلم العجيب

٢

الفارِسُ العظِيم

● وُلِدَ الطّفلُ الصّغيرُ بِلا ذِراعين، ولكن عندما اشتدّ عودُه وكبرَ سنُّه لم يـيـأسْ من قَـدَرِه. . وتعلّم كيف يستخدمُ قدميهِ مكانَ يديهِ، فكان أُعجوبةَ عصرِه وزمانِهِ. .

وعندما جاءَ الأعداءُ وحاصروا البلادَ، كان أمـلُ النّصرِ الوحيـدِ معقوداً على بـطلنـا، الّـذي وُلِـدَ بِـلا ذِراعين. فكيف أنقــذَ شعبَـه، وتحــوَّلَ إلى فــارسٍ عظيمٍ ؟